المحاضرة الاولى

ى أجل هذا كان أول

شيء دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو التوحيد وتصحيح العقيدة ، وقد مكث صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة بعد بعثته ثلاث عشرة سنة يدعو الناس لتصحيح وترسيخ العقيدة في قلوبهم ، ولم تـــنزل عليه الفرائض ولا التشريعات إلا في المدينة المنورة ، فبدون صحة العقيدة وسلامتها تصبح الأعمال هباءً لا وزن لها ، قال تعالى مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم: { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ }(الزمر٦٥ : ٦٦) .

ومن خلال دراستنا للسيرة النبوية المطهرة نرى اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالعقيدة ، ومن ثم فقد بدأ دعوته بقوله : (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) رواه أحمد ، **ومعنى لا إله إلا الله : لا معبود بحق إلا الله ، وقد أمضى حياته صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى عقيدة التوحيد ، وجاهد أعداءه من أجلها ، حتى قال صلى الله عليه وسلم:** (أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله) رواه البخاري .

وحينما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم رسله وأصحابه للدعوة إلى الإسلام أمرهم أن يبدؤوا بالدعوة إلى عقيدة التوحيد قبل كل شيء ، كما في وصيته لمعاذ بن جبل – رضي الله عنه – عندما بعثه إلى اليمن وقال له : (إنك ستأتي قوما أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب) رواه البخاري .

والمواقف من حياة وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم التي تبين اهتمامه بالعقيدة كثيرة ، منها :

١-حين فتح الله لرسوله صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة وهو الفتح الأعظم ، الذي أعز الله به دينه ورسوله ، دخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام ، وحوله أصحابه ، فاستلم الحجر الأسود وطاف بالبيت ، وكان حول البيت ثلاثمائة وستون

صنما، فجعل يطعن بعود تلك الآلهة المزيفة المنثورة حول الكعبة وهو يردد قول الله تعالى: { وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً }(الإسراء:٨١) ، والأصنام تتساقط على وجهها على الأرض ، ونادى مناديه بمكة قائلاً : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً إلا كسره ، فطهر الله جزيرة العرب من رجس الوثنية ، وهيمنة الأصنام والتماثيل

٢-ولما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى العزى ــ أعظم أصنامهم بنخلة ليهدمها، وكانت بيتا يعظمه هذا الحي من قريش وكِنَانَة وَمُضَر كلها ، وكانت سدنتها وحجابها بني شيبان من بني سليم حلفاء بني هاشم ، فخرج إليها خالد في ثلاثين فارساً حتى انتهى إليها ، فهدمها .

٣-ولما سألت ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يترك لهم صنمهم اللات ، وألحوا عليه في أن يؤجل هدم الصنم ثلاث سنين، أبَى ، فما برحوا يسألونه ويأبى عليهم ، فألحوا على أن يؤجل تحطيمها سنة ويأبى عليهم، حتى سألوه شهراً واحداً فأبى أن يتركها ، فبعث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما يهدمانها ، فهدماها في مشهد عظيم .

هكذا كان موقف النبي صلى الله عليه وسلم في حماية التوحيد، وسد الذرائع المفضية إلى الشرك بالله ، لأن الشرك إذا حدث وسُكِت عنه وعن الأسباب التي ربما تؤدي إليه ، لا يلبث أن يصير في حكم الواقع ومن المسلَّمات ، ومن ثم فقد دلت الأدلة الشرعية من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم على وجوب هدم الأصنام ، ومن ذلك ما رواه عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: وبأي شيء أرسلك ؟ ، قال صلى الله عليه وسلم: (أرسلني بِصِلة الأرحام ، وكسر الأوثان ، وأن يُوحَد الله لا يُشْرك به شيء) رواه مسلم .

يقول ابن القيم في زاد المعاد في فقه قصة وفد ثقيف ــ : ((.. هدم مواضع الشرك التي تتخذ بيوتا للطواغيت ، وهدمها أحب إلى الله ورسوله ، وأنفع للإسلام والمسلمين من هدم الحانات والمواخير ، وهذا حال المشاهد المبنية على القبور التي تعبد من دون الله ، ويشرك بأربابها مع الله، لا يحل إبقاؤها في الإسلام ، ويجب هدمها ، ولا يصح وقفها ، ولا الوقف عليها ، وللإمام أن يقطعها وأوقافها لجند الإسلام ، ويستعين بها على مصالح المسلمين)) .

وفي غزوة حنين خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض حديثي العهد بالجاهلية ، وكانت لبعض القبائل ــ قبل الإسلام شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط يأتونها كل سنة ، فيعلقون أسلحتهم عليها للتبرك بها ، ويذبحون عندها ، ويعكفون عليها ، يقول أبو واقد الليثي – رضي الله عنه – : (إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما خرج إلى حنين مَرَّ بشجرة للمشركين يقال لها : ذات أنواط ، يعلقون عليها أسلحتهم ، فقالوا : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : سبحان الله ! هذا كما قال قوم موسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة،والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم) رواه الترمذي .

وهذا يعبر عن عدم وضوح تصورهم للتوحيد الخالص لحداثة إسلامهم ، لكن النبي صلى الله عليه وسلم مع رفقه بمن أخطأ لم يسكت على هذا الخطأ ، بل حذر من آثاره ونتائجه ، وأوضح لهم خطورة ما في طلبهم من معاني الشرك .. فقد كان صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه على التوحيد ، ويصحح ما يظهر من انحراف في الاعتقاد ، حتى في أشد الظروف والمواجهة مع الأعداء .

ومن الصور الظاهرة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم حرصه على تربية الأطفال على عقيدة التوحيد ، وغرسه لها في قلوبهم ، من ذلك أمره الوالدين بالتأذين في أذن الطفل حين ولادته حتى يكون أول ما يقرع أذنه كلمات التوحيد .

عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه قال : (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أذَّن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة ــ بالصلاة) رواه الترمذي .

قال ابن القيم في كتابه تحفة المودود في أحكام المولود : " فإذا كان وقت نطقهم فليلقنوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله سبحانه وتوحيده ، وأنه سبحانه فوق عرشه ينظر إليهم ويسمع كلامهم وهو معهم أينما كانوا " .

ويقول : " وسر التأذين والله أعلم: أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة

لكبرياء الرب وعظمته ، والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام ، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا ، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها " .

وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه ــ قال : (خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما أمرني بأمر فتوانيت عنه أو ضيعته فلامني ، فإن لامني أحد من أهل بيته قال : دعوه فلو قُدِّر ــ أو قال لو قضي ــ أن يكون كان) رواه أحمد .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال : (كنت رديف النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : يا غلام أو يا غليم ، ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟ ، فقلت : بلى ، فقال : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، قد جف القلم بما هو كائن ، فلو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه ، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه ، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا ، وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا) رواه أحمد .

إن الاهتمام بتربية الناس على العقيدة ودعوتهم لها ــ ولاسيما الصغار واضح في سيرة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ، وقد آتت هذه التربية ثمارها المباركة في إخراج ذلك الجيل الفريد الذي مكَّنَ الله عز وجل ــ به لدينه ، وجعله سبباً لانتصار الإسلام وانتشاره في مشارق الأرض ومغاربها ، فما أحوجنا إلى دراسة السيرة النبوية وربطها بالواقع ، فليست سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم مجرد أحداث وقصص وقعت وانتهت ، بل الأمر أكبر من ذلك ، فقد حفظها الله لنا لتكون لنا نورًا نستضيء به ، ودربًا نسير عليه ، ونطبقه في واقعنا .

اهم الكتب التي تحدثت عن العقيدة في الاحاديث النبوية هي : وكلها موجودة في الموسوعة الشاملة

١– الايمان : لابن ابي شيبة .

٢– الايمان : لابن منده .

٣– شعب الايمان : للبيهقي .

٤– الايمان : للعدني .

٥- شرح رسالة كتاب الايمان : لابي عبيد القاسم بن سلام / المؤلف عبد العزيز بن عبد الرحمن الراجحي

المحاضرة الثانية

أحاديث الصفات الإلهية

أولاً: تعريف الصفة .

وصف الله تبارك وتعالى نفسه بصفات كمال مطلق من جميع الوجوه ونعوت العظمة والجلال والجمال، ومن تدبر القرآن الكريم عرف أن الله على كل شيء قدير وأنه هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم له المشيئة النافذة والحكمة البالغة، غفور لعباده، رحيم بهم، يحب لعباده الإيمان ولا يرضى لهم الكفر، وهاب جزيل العطايا، صمدٌ واحدٌ لا شريك له، علا واستوى على العرش، وهو مع عباده أينما كانوا، كل هذا وليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

عاقب الله الواصفين له بالنقص كما في قوله:((وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء)) المائدة ٦٤.

ونزه نفسه عما يصفونه به من النقائص فقال:((سبحان ربك رب العزة عما يصفون)) الصافات ١٨٠.

لم يسأل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيه والقرآن ينزل عن هذه الصفات بل استبشروا بها خيراً وفرحوا برحمته ومغفرته لهم، كما قال الله في كتابه:((قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)) يونس ٥٨.

وبنظرة قريبة لأصل كلمة الصفة فيقال: الوصف: ما يقوم بالواصف، والصفة ما تقوم بالموصوف. قال البخاري رحمه الله في خلق افعال العبادة: فالوصف إنما هو قول القائل حيث يقول: "هذا رجل طويل وثقيل وجميل وحديد، فالطول والجمال

والثقل والحدة، إنما هو صفة الرجل، وقول القائل وصف، كذلك إذا قال: الله رحيم، والله عليم".

فالصفة والوصف تارة يراد بها الكلام الذي يوصف به الموصوف كقول الصحابي لأنها صفة الرحمن وتارة يراد به المعاني التي دل عليها الكلام كالعلم والقدرة.

والنصوص متوافرة في الكتاب والسنة في سياق صفات الله تبارك وتعالى وأكثر من أن تورد، وان كان ابن حزم رحمه الله ينكر هذه اللفظة (صفة وصفات) وقال:"وأما إطلاق لفظ الصفات لله فمحال لا يجوز؛ لأن الله لم ينص في كلامه المنزل على لفظ الصفات أو الصفة، ولا نبيه صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة ولا عن أحد من التابعين ولا عن أحد من تابعي التابعين، وما كان هكذا فلا ينبغي لأحد أن ينطق به، وإنما اخترع لفظ الصفات المعتزلة وسلك سبيلهم قوم من أصحاب الكلام سلكوا غير مسلك السلف الصالح، وربما أطلق هذه اللفظة من متأخري الأئمة الفقهاء من لم يحقق النظر فيها"[1].

ولعل ابن حزم رحمه الله لا يرى حديث البخاري في كتاب التوحيد في الرجل الذي كان في سرية (ويقرأ بهم بقل هو الله أحد ويختم بها قراءته، فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك، فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال عليه الصلاة السلام: أخبروه أن الله يحبه)، فاللفظ هنا صريح من صحابي بنعت الله تبارك وتعالى بالصفة، ولذلك علق الحافظ رحمه الله بقوله:" وفي حديث الباب حجة لمن أثبت أن لله صفة وهو قول الجمهور".

---

[1] ينظر:الفصل ٢/ ٢٨٥.

ولكن ابن حزم رحمه الله لمّا أعيته الحيلة في رد هذا الحديث ظهرت عليه ظاهريته فقال: "قل هو الله أحد خاصة صفة الرحمن".

وهناك دليل آخر:

فعن ابن عباس رضي لله عنهما أن اليهود جاءت النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا محمد صلى الله عليه وسلم صف لنا ربك الذي بعثك، فأنزل الله عز وجل((قل هو الله أحد)) فقال هذه صفة ربي عز وجل وتقدس وعلا علواً كبيراً. وعن ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه عنه علي بن أبي طلحة قال: في سورة الإخلاص:". . . وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلاّ له ليس له كفء وليس كمثله شيء".

قال الأوزاعي: كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته.

والنصوص عن السلف في إثبات الصفات ووصف الله بما يليق به كثيرة جداً. والخلاف في صفات الله تبارك وتعالى حادث بعد عصر الصحابة ولم يكن هناك خلاف بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسائل الصفات.

وقد صور الإمام المقريزي رحمه الله كيف تدرج الناس في هذه المسألة المهمة فقال:"اعلم أن الله تعالى لما بعث من العرب نبيه محمداً رسولاً إلى الناس جميعاً وصف لهم ربهم سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه الكريمة في كتابه العزيز الذي نزل به على قلبه صلى الله عليه وسلم الروح الأمين وبما أوحى إليه ربه تعالى فلم يسأله عن معنى شيء من ذلك، كما كان يسألونه صلى الله عليه وسلم عن أمر الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك مما لله فيه سبحانه أمر ونهي، وكما سألوه صلى الله عليه وسلم عن أحوال القيامة والجنة والنار، إذ لو سأله إنسان

منهم عن شيء من الصفات الإلهية لنقل كما نقلت الأحاديث الواردة عنه صلى الله عليه وسلم في أحكام الحلال والحرام، وفي الترغيب والترهيب، وأحوال القيامة، والملاحم، والفتن ونحو ذلك مما تضمنته كتب الحديث في معاجمها ومسانيدها وجوامعها، ومن أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي ووقف على الآثار السلفية علم أنه لم ير قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى شيء مما وصف به الرب سبحانه به نفسه الكريمة في القرآن الكريم وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكلام في الصفات.

نعم ولا فرق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل وإنما أثبتوا له تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام والجلال والإكرام والجود والإنعام والعز والعظمة وساقوا الكلام سوقاً واحداً وهكذا أثبتوا رضي الله عنهم ما أطلقه الله سبحانه على نفسه الكريم من الوجه واليد ونحو ذلك مع نفي مماثلة المخلوقين، فأثبتوا رضي الله عنهم بلا تشبيه ونزهوا من غير تعطيل ولم يتعرض أحدٌ منهم إلى تأويل شيء من هذا، ورأوا بأجمعهم إجراء الصفات كما وردت ولم يكن عند أحدٍ منهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى، وعلى إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم سوى كتاب الله، ولا عرف أحدٌ منهم شيئاً من الطرق الكلامية ولا مسائل الفلسفة" [٢].

نقلنا هذا الكلام على طوله لنفاسته في عرض العصر النقي الصافي، ثم توالت العصور وأحدث من أحدث في الكلام في الصفات كالجعد بن درهم والجهم بن صفوان ومقاتل بن سليمان وغيرهم، فقام أهل السنة في الذب عن الدين وتوضيح

---

[٢] المواعظ والاعتبار للمغريزي (الخطط) ٣/ ٣٠٩ – ٣١٠.

الكلام ونشروا لذلك الردود وبينوا النصوص وقعدوا القواعد في مسالة الصفات وهذا مجال درسكم في باب الإلهيات من أبواب العقيدة.

ثانيا: أقسام الصفات .

الصفات الإلهية تنقسم إلى قسمين: ثبوتية وسلبية

أولاً: الصفات الثبوتية:

هي ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وكلها صفات كمال لا نقص بها بوجه من الوجوه كالحياة والعلم والقدرة والاستواء والنزول والوجه واليدين ونحو ذلك.

وهذا مما تضافرت به الأدلة على وجه التفصيل حيث بعث الله رسله بإثبات مفصل، فأثبتوا له الصفات على وجه التفصيل.

والصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين:

ذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال الله متصفاً بها كالعلم والسمع والبصر والحياة ومنها الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعينين.

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئة الله إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كالاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا، والمحبة والغضب والرضا.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية؛ لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلماً.

وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئة الله يتكلم متى شاء بما شاء، وذهب إلى هذا التقسيم من المتكلمين أبو الهذيل العلاف من المعتزلة والباقلاني من الأشاعرة.

ثانياً: الصفات السلبية:

وهي التي نفاها الله تبارك وتعالى عن نفسه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وكلها صفات نقص في حقه كالموت والنوم والجهل والنسيان والعجز والتعب، وهذا النفي مجمل فإن الرسل نفوا عن الله ما لا يليق به على وجه الإجمال دون التفصيل.

والصفات السلبية تتضمن إثبات كمال ضدها مع تنزيه الرب عن العدم والنفي المحض، وأن النفي يلتزم به المنافي الأدب مع الله تبارك وتعالى.

ومجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال؛ لأن النفي المحض عدم محض والعدم المحض ليس بشيء وما ليس بشيء هو كما قيل: ليس بشيء فضلاً عن أن يكون مدحاً أو كمالاً، وقد نبه على هذا الإمام الكناني في مناظرته لبشر المريسي فقال:" إن نفي السوء لا تثبت به المدحة، قال بشر: وكيف ذلك، قال: إن قولي هذه الأسطوانة لا تجهل ليس هو إثبات العلم لها".

ثالثا: الأحاديث الواردة في الصفات .

ما ورد في السمع والبصر.

وصف الله تبارك وتعالى نفسه بالسمع والبصر في القرآن الكريم، ومن ثم وجب الإيمان بأن لله تعالى سمعاً وبصراً يليقان بجلاله فهما صفتان حقيقتان فكما أن له

ذاتاً حقيقية لا تشبه الذوات فله صفات حقيقة لا تشبه صفات الخلق، وقد ورد إثبات صفة السمع في سبع وخمسين آية، وإثبات صفة البصر في خمسين آية.

ومن ذلك قوله تبارك وتعالى:((وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم))البقرة ١٢٧، وقوله تعالى:((قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير)) المجادلة ١.

إما الأحاديث الواردة لإثبات هاتين الصفتين منها حديث عائشة رضي الله عنها قالت:"الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات فأنزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم ((قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها)).

وحديث أبي موسى رضي الله عنه قال:"كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فكنا إذا علونا كبرنا، فقال: أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، تدعون سمعياً بصيراً قريباً".

وحديث عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن جبريل عليه السلام ناداني قال: إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك"، ومناسبة الأحاديث للترجمة واضحة إن لله سمعاً حقيقياً.

وكذلك حديث أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله علمني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال:"قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلاّ أنت فاغفر لي من عندك مغفرة إنك أنت الغفور الرحيم"، يقول ابن بطال:" أن دعاء أبي بكر يقتضي أن الله سميع لدعائه ومجازيه عليه، وقال غيره لما كان بعض الذنوب مما يسمع وبعضها مما يبصر لم تقع مغفرته إلا بعد السمع والإبصار".

وقال ابن المنير:"لولا أن سمع الله يتعلق بالسر وأخفى لما أفاد الدعاء في الصلاة سراً".

ما ورد في العلم.

قال تعالى واصفاً نفسه:((عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا)) الجن ٢٦، وقال: ((إن الله عنده علم الساعة)) لقمان ٣٤، وقال:((وما تحمل من أنثى ولا تضع إلاّ بعلمه)) فاطر ١١، وغيرها من الآيات، فقد ورد اسمه العليم المتضمن لعلمه في القرآن الكريم في مائة وسبع وخمسين موضعاً.

إما الأحاديث رد حديثين في ذلك وهما حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلاّ الله"، وأثر عائشة رضي الله عنها وفيه قالت:"من حدثك أنه يعلم الغيب، فقد كذب، وهو يقول ((لا يعلم الغيب إلا الله)).

ثم نقل البخاري رحمه الله عن الإمام يحيى الفراء في أحد معاني الظاهر والباطن، قال: قال يحيى:"الظاهر على كل شيء علماً والباطن على كل شيء علماً، وهي تفسير لقوله تعالى:((هو الأول والآخر والظاهر والباطن)) ولأن في آخرها دلالة صريحة على صفة العلم فقال:((وهو بكل شيء عليم)).

أورد الإمام البيهقي آيات وأحاديث الباب وغيرها، وقال: كان الأستاذ أبو إسحاق الاسفراييني يقول:"من أسامي صفات الذات ما هو للعلم، منها العليم ومعناه يعلم جميع المعلومات، ومنها الخبير يعلم ما يكون قبل أن يكون، ومنها الحكيم يعلم دقائق الأوصاف، ومنها الشهيد ويختص بأن يعلم الغائب والحاضر، ومعناه لا يغيب عنه شيء، ومنها الحافظ ويختص بأنه لا ينسى ما علم، ومنها المحصي ويختص أنه لا تشغله الكثرة عن العلم".

وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن الله عالم بعلم وأن علمه غير مخلوق والأدلة كثيرة على هذا.

أ.م.د هادي عبيد حسن

المحاضرة الثالثة

الأحاديث الواردة في الأسماء الحسنى

الاسم مشتق من السمو والرفعة وورد إثبات لفظ الاسم لله تبارك وتعالى، على وجه التفصيل فمما ورد في إثبات لفظ (الاسم) في القرآن ونسبته إلى الله قوله تعالى:((ولله الأسماء الحسنى))الأعراف ١٨٠، وقوله:((الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى)) طه ٨ وقوله: ((سبح اسم ربك الأعلى))الأعلى ١.

ومن الأحاديث "**اللهم باسمك أموت وأحيا**"، " **بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء**" وكذلك ورد الإثبات المفصل لأسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة كآخر سورة الحشر :((هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس)) الحشر ٢٣.

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم "**إن الله هو السلام**"، فهذه أدلة صريحة على إثبات صحة نسبة الاسم لله تبارك وتعالى.

ذهب العلماء الى وجوب إثبات أسماء الله عز وجل إثباتاً حقيقياً بألفاظها ومعانيها سواءً ما جاء به القرآن أو ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى:((ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها)) الأعراف ١٨٠، وقال جل شأنه:((قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى)) الإسراء ١١٠.

فكل ما مضى عليه كتاب الله وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم وجب الإيمان به، يقول الإمام الشافعي رحمه الله:(لله تعالى أسماء وصفات جاء بها في كتابه،

وأخبر بها نبيه – صلى الله عليه وسلم – لا يسع أحداً من خلق الله تعالى قامت عليه الحجة ردَّها لأن القرآن نزل بها، وصح عن رسوله – صلى الله عليه وسلم – القول بها...))

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال: عليه الصلاة والسلام((أن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة)).

هنا اختلفت عبارات العلماء وآراهم في عد الأسماء الحسنى وفي إحصاءها، أما عن عددها فالجمهور على أنها أكثر من ذلك كما حكاه الإمام النووي رحمه الله تعالى وقال:(ليس في الحديث حصر أسماء الله تعالى، وليس معناه أنه ليس له اسم غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث، أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصاءها لا الإخبار بحصر الأسماء))، وقال الخطابي رحمه الله((إنما هو بمنزلة قولك أن لزيد ألف درهم أعدها للصدقة، وكقولك، أن لعمرو مائة ثوب من زاره خلعها عليه، وهذا لا يدل على أنه ليس عنده من الدراهم أكثر من ألف درهم ولا من الثياب أكثر من مائة ثوب، وإنما دلالته أن الذي أعده زيد من الدراهم للصدقة ألف درهم، وأن الذي أعده عمرو من الثياب للخلع مائة ثوب)).

ويستدل لذلك بحديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه فيمن أصابه هم وحزن، أن يقول:((**اللهم أنّي عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدلٌ في قضائك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي**))، إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحاً.

فمن يعلم الأسماء التي استأثر الله بها في علم الغيب عنده، فهذا جازم بأنها غير محصورة، وكذلك يقال أنه لم يثبت حديث صحيح صريح في تعيين هذه الأسماء التسعة والتسعين، والروايات التي تحددها هذه الأسماء قد تكلم فيها العلماء بتضعيف طرقها، وأن الراجح أن سرد الأسماء مدرج من بعض الرواة اجتهاداً، ويتضح ذلك بعد دراسة الروايات، والطرق التي سردت الأسماء الحسنى.

الأسماء التي وردة ذكرها في السنة النبوية وهي:

الرحمن ورد هذا الاسم في القرآن الكريم نحوا من (٧٥) مرة.

والرحمة هي الرقة والتعطف، ورحمن أشد مبالغة من رحيم، وإن كانا مشتقين من الرحمة؛ لأن بناء فعلان أشد مبالغة من فعيل ونظيرهما نديم وندمان، وقوله الرحمن يجمع كل معاني الرحمة من الرأفة والشفقة والحنان واللطف والعطف.

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:((هل تعلم له سمياً)) مريم ٦٥، قال ليس أحدٌ يسمى الرحمن غيره، قال صلى الله عليه وسلم :((قال الله عز وجل: " أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي".

هناك من أدعى عدم معرفة العرب لهذا الاسم واستشهدوا بقوله تعالى:((وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن)) الفرقان ٦٠، واستدل أيضاً بإنكار قريش عند توقيع معاهدة الحديبية لما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو: أما الرحمن فو الله، ما أدري ما هي، ولكن اكتب بسمك اللهم كما كنت تكتب.

ويرد ذلك بدليل قوله تعالى: ((وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم)) الزخرف٢٠، وبأشعار العرب كقول سلامة بن جندل الطهوي(شاعر جاهلي من أهل الحجاز):

عجلتم علينا إذ عجلنا عليكم وما يشاء الرحمن يعقد ويطلق

وهذا الاسم من الأسماء الخاصة بالله غير المشتركة مع خلقه، كما قال ابن كثير رحمه الله تعالى، والحاصل أن من أسمائه تعالى ما يسمى به غيره، ومنها مالا يسمى به غيره كاسم الله والرحمن والخالق والرازق ونحو ذلك.

الرزاق.

قال تعالى:((الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز)) الشورى ١٩، ومنه حديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" ما أحد أصبر على أذىً سمعه من الله يدّعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم" ومعناه أن الله واسع الحلم حتى مع الكافر الذي ينسب له الولد فهو يعافيه ويرزقه.

وهنا تنبيه: أن كثرة الرزق لا تدل على محبة الله للعبد وهذا الظن هو الذي اعتقده الكفار:((وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذَبين قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون)) سبأ ٣٥ – ٣٧، وهذا من الاستدراج ((أيحسبون إنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون)) المؤمنون ٥٥ - ٥٦.

ولا يعارض هذا أن التقوى وطاعة الله سبب عظيم للرزق والبركة ((ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض))الأعراف٩٦، وقال: ((ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب)) الطلاق ٢ – ٣، وقال:((لئن شكرتم لأزيدنكم)) إبراهيم ٧، وأعظم رزق يرزقه الله لعباده هو الجنة، قال تعالى:((والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسنا

وإن الله لهو خير الرازقين))الحج ٥٨، فهذا الرزق الذي لا ينقطع وليس بدٌ منه ولا استدراج ولا نهاية:((إن هذا لرزقنا ما له من نفاد)) ص ٥٤، جعلنا الله ممن كتب له هذا الرزق.

السلام.

ورد هذا الاسم مرة واحدة في قوله تعالى:((الملك القدوس السلام المؤمن)) الحشر ٢٣، والسلام والسلامة البراءة، وتسلم منه تبرأ منه، والسلامة العافية، يقال سلم يسلم سلامة، ومنه قيل للجنة دار السلام؛ لأنها دار السلامة من الآفات.

ورد ذكر السلام من حديث رواه البخاري في الأدب المفرد فقال:"إن السلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه الله في الأرض فأفشوا السلام بينكم".

وأورد البخاري حديث" كنّا نصلي خلف النبي صلى الله عليه وسلم فنقول السلام على الله" فأرشدهم النبي عليه الصلاة والسلام إلى المشروع في السلام.

وفي حديث أنس قال: قال: جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم :" إن الله يقريء خديجة السلام، يعني فأخبرها فقالت: إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته"، ففهمت أن الله لا يرد عليه السلام مثل المخلوقين؛ لأن السلام اسم من أسماء الله.

المحاضرة الرابعة

أحاديث النبي ﷺ في التوحيد

اهتمت السنة النبوية بالتوحيد أيّما اهتمام فقد أحاطت به من كل الجوانب وشرحته وفصلته دون أن تدع منه شيئاً ، والمتأمل في كتب الحديث يجد أن المؤلفين فيه بوبوا له أبواباً بل كتبوا فيه كتباً ، فهذا الإمام البخاري يختم جامعه الصحيح بكتاب التوحيد ويرصد تحته أكثر من خمسة وخمسين باباً يوزع فيها مطالب مادة التوحيد وقضاياه [٣] ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أهمية التوحيد وعظمته .

التوحيد أول ما يُدعى إليه :

قال ابن عباس رضي الله عنه لما بعث النبي ﷺ معاذاً إلى نحو أهل اليمن قال له : (إنك تقدمُ على قوم من أهل الكتاب فليكن "أولَ" ما تدعوهم إلى أن يُوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ... الخ) [٤] .

وفي رواية : (... ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فاعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات ... الخ) [٥] ، وقد بوّب الإمام البخاري على حديث معاذ بقوله : باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى [٦] .

والشاهد في هذا الحديث قوله لمعاذ : (... أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله) وهذا يدل على عظمة التوحيد ، وهو الأساس الذي به وعن طريقه تقبل بقية الأعمال ، ولهذا قال له : (... فإذا عرفوا ذلك – أي التوحيد فأخبرهم) يفهم منه أنه لا يصح أن ينتقل إلى تعليمهم الصلاة والزكاة إلا بعد تحقق التوحيد منهم واستجابتهم له .

---

(٣) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣/٣٤٤-٥٣٧ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/٣٤٧/ح ٧٣٧٢/فتح) كتاب التوحيد ، باب الدعاء إلى التوحيد .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/٢٦١/ح ٣٩٥/فتح) كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة .

(٦) انظر : فتح الباري ، ١٣/٣٤٧ .

والرواية الثانية تبين معنى كلمة "التوحيد" الواردة في الرواية الأولى ويكون معناها (شهادة أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله) فلا يقبل إسلام أحد إلا بالتوحيد ، فالتوحيد بوابة لمن أراد أن يقبل عمله ، ويدخل الجنة ، ولهذا تجد النبي ﷺ في أكثر أحاديثه يرشد إلى التوحيد وتحقيقه واتباعه بالعمل ، وجاء في ذلك ما يأتي :

* عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ : أخبرني بعمل يدخلني الجنة ، قال : ما لَه ما لَه ، وقال النبي ﷺ : **(أرَبٌ ماله "أي هل له من حاجة" تعبدُ الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصل الرحم)** [٧] .

* وروى أبو هريرة رضي الله عنه (أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال : دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة . قال : تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان . قال : والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا ، فلما ولى قال النبي ﷺ : **من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا)** [٨] .

* قال عمر رضي الله عنه : **(كيف نقاتلُ الناس وقد قال رسول الله ﷺ أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله)** [٩] .

فالتوحيد كما أنه يدخل صاحبه الجنة ، ويخرجه من النار يوم القيامة ، فهو أيضاً جُنّةٌ لصاحبه من هدر الدم وأخذ المال والإذلال بالجزية والصغار فهو يرفع أهله إلى مقام العزة والعلياء في الأرض والسماء .

وقد تواترت الأحاديث ، وأجمع أهل السنة على أن مَنْ كان في قلبه ذرة توحيد أو إيمان فإنه لا يخلد في النار ، بل يخرج منها إلى الجنة ، ومن كان في قلبه ذرة شرك فإنه لا يدخل الجنة [١٠] .

حديث سيد الاستغفار وعظمته :

---

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/٢٦١/ح ١٣٩٦/فتح) كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة .

(٨) السابق ، (ح ١٣٩٧) نفس الجزء والصفحة والكتاب .

(٩) السابق ، (ح ١٣٩٩) نفس الجزء ، ص ٢٦٢ ، والكتاب .

(١٠) انظر في ذلك : كتاب الشريعة للآجري ، وشرح العقيدة الطحاوية ، ولوامع الأنوار للسفاريني ، والإبانة عن أصول الديانة ، وطريق الهجرتين لابن القيم ، وشرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين ، وأصول الدين للبغدادي وغيرها .

كما جاء في رواية الإمام البخاري: (سيد الاستغفار : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء لك بذنبي ، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أعوذ بك من شر ما صنعت . إذا قال حين يمسي فمات دخل الجنة أو كان من أهل الجنة ،وإذا قال حين يصبح فمات من يومه مثله) (١١)

قال بدر الدين العيني : (سيد الاستغفار ؛ لأن السيد في الأصل هو الرئيس الذي يقصد في الحوائج ، ويرجع إليه في الأمور ، ولما كان هذا الدعاء جامعاً لمعاني التوبة كلها استعير له هذا الاسم ، ولا شك أن سيد القوم أفضلهم ، وهذا الدعاء أيضاً سيد الأدعية وهو الاستغفار ... وفيه ذكر الله تعالى بأكمل الأوصاف) (١٢) .

ونقل ابن حجر عن أبي حمزة قوله : (جمع النبي ﷺ في هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق له أن يُسمَّى سيد الاستغفار ، ففيه الإقرار لله وحده بالألوهية ولنفسه بالعبودية والاعتراف بأنه الخالق ، والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه ...) (١٣) .

وهل هناك سَمِّيٌ للتوحيد يطلق عليه لفظ السيد كهذا الدعاء ؟! وقد تضمن هذا الدعاء أنواع التوحيد الثلاثة ، الألوهية في قوله : (لا إله إلا أنت) والربوبية في إثبات الخالقية له (خلقتني ...) وإثبات صفة المغفرة والرحمة المتضمنة في دعائه أن يغفر له ثم بيان فائدة هذا الاستغفار أنه من مات من يومه أو ليله وقد قاله موقناً به كان من أهل الجنة ، فهذا الدعاء سيد الأدعية ؛ لأنه تضمن الوسيلة والغاية ، فالوسيلة تحقيق توحيد الله مع الإيقان به والثبات عليه ، والغاية الجنة لمن مات وهو يردده موقناً به .

قال ابن القيم : (فأقر بتوحيد الربوبية المتضمن لانفراده سبحانه بالخلق وعموم المشيئة ونفوذها ، وتوحيد الإلهية المتضمن لمحبته وعبادته وحده لا شريك له والاعتراف بالعبودية المتضمن للافتقار من جميع الوجوه إليه سبحانه ، ثم قال : (وأنا على عهدك ووعدك) فتضمن

---

(١١) والحديث بألفاظ مقاربة عن شداد بن أوس وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما ، أخرجه البخاري في صحيحه (٩٧/١١/ح ٦٣٠٦/فتح) ، كتاب الدعوات ، باب ما يقول إذا أصبح ، وأبو داود في سننه ٤٣٤/٤ ، كتاب الأدب ، باب ما يقول إذا أصبح ، وابن ماجة في سننه ١٢٧٤/٢ ، كتاب الدعاء .

(١٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، لبدر الدين العيني ٢٧٨/٢٢ .

(١٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٠٠/١١ ، وانظر : لسان العرب ٢٢٨/٣ ، وكتاب الأذكار للنووي ، ص ٥١٨ ، رقم (١٠٨٩) .

ذلك التزام شرعه وأمره ودينه ، وهو عهده الذي عهده إلى عباده والتصديق بالموعود وهو الإيمان والاحتساب ... الخ) [١٤] .

وشرح الشوكاني حديث سيد الاستغفار وبين أنه يتضمن معالم التوحيد التي لا يستغني عنها أحد فقال : (... ففيه الإقرار لله وحده بالألوهية ولنفسه بالعبودية ، والاعتراف بأنه الخالق ، والإقرار بالعهد الذي أخذ عليه والجزاء بما وعد به ، والاستعاذة مما جنى به على نفسه ، وإضافة النعم إلى موجدها ، وإضافة الذنب إلى نفسه ورغبته في المغفرة ، واعترافه بأنه لا يقدر على ذلك إلا هو) [١٥] .

وصل الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

أ.م.د هادي عبيد حسن

---

(١٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزية ، دار ابن القيم ، ط٢ سنة ١٤١٤هـ ، ص ٢٦٤ ، وانظر : الاستقامة لابن تيمية ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ط٢ سنة ١٤٠٩هـ ، ١٣٩/٢ .

(١٥) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين لأبي محمد بن علي محمد الشوكاني الصنعاني (١٢٥٠) ، تحقيق سيد إبراهيم ، دار الحديث ، ط١ سنة ١٤١٩هـ ، ص ١٠٥ .

المحاضرة الخامسة

أحاديث رؤية الباري عز وجل

أولاً: معنى الرؤية.

رؤية المؤمنين ربهم عز وجل يوم القيامة بأبصارهم من المسائل التي تضافرت عليها النصوص وتواترت فيها الآثار وقام عليها إجماع سلف الأمة وسألوا الله أن لا يحرمهم النظر إليه ولكن أبا جهم ومن تبعه من المعتزلة وغيرهم إلا نفي الرؤية وحجتهم " إن إثبات الرؤية يؤدي إلى حدوث الله لان الشيء إنما يرى إذا كان مقابلاً أو حالاً في المقابل وهذه من صفات الأجسام فيوجب ذلك أن يكون الله تعالى جسماً وإذا كان جسماً صار محدثاً وإذا كان جسماً تجوز عليه الحاجة.

وأصل قول جهم الذي نفى الرؤية به مبني على ثلاث آيات تشتبه معانيها على من لا يفهمها وذكر منها آية نفي الإدراك لينفي بها الرؤية والمباينة قال تعالى:((لا تدركه الأبصار)) الأنعام ١٠٣، وليس للنافين للرؤية إلا تأويل بعض الأدلة أو التعليق بمفهوم بعضها كقوله:((لا تدركه الأبصار)) على أن الرؤية توجب كون المرئي محدثاً حالاً في مكان فأولوا قوله:((وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة)) القيامة ٢٢ – ٢٣، بأنها منتظرة وهذا خلاف تفسيرها الذي أثُر عن السلف قال ابن عباس:" مسرورة إلى ربها (ناظرة) قال تنظر إلى ربها، ومثله عن الحسن البصري ومجاهد وعكرمة.

قال الإمام أبو الحسن الأشعري:"ولا يجوز أن يكون عني نظر الانتظار لان النظر إذا ذكر مع ذكر الوجه فمعناه نظر العينين اللتين في الوجه قال وهذا مما يبطل قول المعتزلة: لان نظر الانتظار لا يكون مقروناً بقوله (إلى) لأنه لا يجوز عند

العرب أن يقولوا في نظر الانتظار (إلى) وقد قيل للإمام مالك: أن أقواماً يقولون تنظر ما عنده فقال:بل تنظر إليه نظراً.

وما دليلهم العقلي إن الرؤية توجب تجسيم وحدوث المرئي فهذه على جميع منكري الصفات من قياسهم الأمور الغيبية على ما ألفوه في دنياهم وقياس الخالق بالمخلوق.

قال ابن بطال:((وما تمسكوا به فاسد لقيام الأدلة على أن الله تعالى موجود والرؤية في تعلقها بالمرئي بمنزلة العلم في تعلقه بالمعلوم فإذا كان تعلق العلم بالمعلوم لا يوجب حدوثه فكذلك المرئي)).

فهذا لا يسلم لهم لان المنفي هنا هو الإدراك فالإدراك هو الإحاطة ونفي الإحاطة لا يستلزم نفي الرؤية فقد تقع الرؤية بدون الإدراك وقد يقع إدراك بلا رؤية، فقوم موسى قالوا له (إنا لمدركون) مع قوله:((فلما تراءى الجمعان)) فقال موسى:((كلا إن معي ربي سيهدين)) فنفى موسى عليه السلام الإدراك مع إثبات الترائي.

وهذا هو تفسير ابن عباس لما تكلم في الرؤية فقال له رجل أليس قال الله ((لا تدركه الأبصار)) فقال له ألست ترى السماء قال بلى قال أتراها كلها قال:لا فبين له أن نفي الإدراك لا يقتضي نفي الرؤية.

ثانياً: الأحاديث عن الرؤية.

ساق الإمام البخاري رحمه الله الأدلة من السنة على الرؤية منها حديث جرير رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذا نظر إلى القمر ليلة البدر قال:" إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته "

والحديث الآخر: " إنكم سترون ربكم عياناً "، وحديث:" إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته".

وفي هذه الأحاديث تأكيد من رسول الله صلى الله عليه وسلم للرؤية بأن وبالفعل المضارع المسبوق بالسين وبقوله:(كما ترون هذا القمر) مع إشارته إليه فأي بيان بعد ذلك.

وقوله:(لا تضامون) بفتح التاء وتشديد الميم والمعنى إنكم ترون ربكم رؤية واضحة لا تحتاجون في رؤيته أن ينضم بعضكم إلى بعض لتتساعدوا على الرؤية كما يقع عند رؤية الأمور الخفية.

وقوله:(إنكم سترون ربكم عياناً) ومعناه عياناً أي بأعينكم وهذا الحديث ذو دلالة واضحة، وقوله:(إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا) يعني القمر فيه دلالة على أن الرؤية ستقع يوم القيامة وليس هناك تشبيه للمرئي بالمرئي بل تشبيه بالرؤية للرؤية، ثم ساق رحمه الله حديث أبي هريرة الطويل وفيه: الذي دلالته من أوضح الدلالات حيث سأل الصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم هل نرى ربنا يوم القيامة؟

فأجابهم:" هل تضارون في القمر ليلة البدر " فقالوا: لا يا رسول الله قال:(فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب) فقالوا لا يا رسول الله، فقال:(فإنكم ترونه كذلك) وهنا بين عليه الصلاة والسلام أنهم سيرونه كما يرون القمر ليلة البدر والشمس ليس دونها سحاب.

وفي سياق الحديث:(فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه)، فأنهم سيرونه تبارك وتعالى على صورته اللائقة بجلاله وقد أطال أهل العلم الكلام في الصورة.

ثم ساق الإمام البخاري رواية أبي سعيد الخدري لحديث الرؤية وفيه" فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونها فيقولون الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن " الحديث فيقال في الصورة والساق ما يقال في بقية الصفات كما تقدم في الصفات الذاتية والله أعلم.

وحديث انس في الشفاعة وشاهده فيها قوله عليه السلام:" فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجداً ".

وقد كرره في الحديث ثلاث مرات فالنبي عليه الصلاة والسلام سوف يراه وكذلك غيره من المؤمنين، وكذلك حديث انس حين جمع الرسول صلى الله عليه وسلم الأنصار في قبة وقال لهم:(اصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فإني على الحوض)، فقد ذكر اللقاء هو ما يقتضي الرؤية والمعاينة.

ثم أورد حديث ابن عباس في دعاء صلاة التهجد وفيه:(أنت الحق وقول الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق) فاللقاء يتضمن الرؤية وهو شاهد البخاري في هذا الحديث، ثم أورد حديث عدي بن حاتم:(ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه)، فليس بين العبد وبين الرب ما يمنع رؤيته إذ المؤمن لا يحجب بعكس الكافر الذي قال فيه ((كلا انهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون))، ثم حديث:(وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهة في جنة عدن، ففيه قرب لقاء المؤمنين بربهم ورؤيتهم له وبينه وبينهم حجاب الكبرياء فإذا أذن لهم رفع رداء الكبرياء وعن وجهه) كما هو ظاهر الحديث والله أعلم، وهكذا فهذه الأحاديث شواهد على الرؤية.

أ.م.د هادي عبيد حسن الويسي